الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف وأثره التربوي والتعليمي

محمد عيسى الشريفين*

ملخص

تناولت في هذا البحث الأسلوب الحكيم بمعناه الاصطلاحي، ومعناه في البلاغة والأدب،ثم معناه في الحديث الشريف، وهذا المصطلح مصطلح أدبي بلاغي في أصله، ثم تناولت استخدام المصطفى لهذا النسق اللغوي من حيث البواعث والصور، فبينت البواعث التي استخدم المصطفى من أجلها هذا الأسلوب،ثم الصور التي استخدم فيها هذا النسق، ثم ومن خلال دراسة البواعث لاستخدام هذا الأسلوب خلصت إلى الآثار التربوية والتعليمية التي يمكن الإفادة منها في مجالي التعليم والدعوة إلى الله من خلال دراسة استخدام المصطفى لهذا الأسلوب،راجياً من الله التوفيق والسداد.

Abstract

In this research ,the researcher dealt with the wise style in its idiomatic meaning, its meaning in rhetoric and literature and its meaning in prophetic tradition. this term is related to literature and rhetoric in its origin.

The research then dealt with using the term for this linguistic mode in regard to reasons and images. the researcher clarified the reasons for which the ohrooht used this style and the images in which he caused this mod. Through his investigation of the reasons for using this style, the researcher concluded the educational and instructional impact which could be utilisedin both fields of teaching and supplication for Allah through the study of the employment of this style by the Prophet, asking Almighty God for help and guidance .

* كلية الدراسات الفقهية والقانونية/جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية.

تاريخ استلام البحث: 2003/12/12 تاريخ قبول البحث: 2004/4/22

المقدمة :

الحمد لله حمداً يليق بجمال وجهه وعظيم سلطانه،الحمد لله على نعمة الإسلام، نحمده على الدوام ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة ، سيد البلغاء والفصحاء ، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبعد:

فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وكان فصيح اللسان حلو المنطق، يتكلم مع الناس بلغتهم ويخاطبهم على قدر عقولهم .

يقول صاحب الشفا :"وأمَّا فصاحةُ اللسان فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة مَنــزع، وإيجاز منقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخُص ببدائع الحكم،وعلم ألسنة العرب ،يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها ويباريها في منــزع بلاغتها"[1].

ومن معالم فصاحته صلى الله عليه وسلم أسلوبه الحكيم، الذي لم يكن فيه بدعاً من العرب ولغتهم، غير أن تميزه فيه صلى الله عليه وسلم كان شاهدا على رسوخ قدمه في الفصاحة والبيان، ففي الوقت الذي كان العرب يستخدمون هذا النسق اللغوي (الأسلوب الحكيم) لغاية التظرف والتهكم والتخلص من إحراج السائل الأمر الذي لا تجد فيه من النفع ما يعود على المتلقي، كان صلى الله عليه وسلم قد استخدمه لغايات جليلة تكتنفها مصلحة المتلقي والسامع، رأيتُ أن أجعل أسلوبَ الحكيم في الحديث النبوي غاية هذا البحث ومقصودة أجلي من خلاله جانباً من فصاحته صلى الله عليه وسلم،ودليلاً على إتيانه جوامع الكلم، سائلاً المولى أن ينفعنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما حيينا آمين.

التمهيد ويشتمل على:

1- تعريف وبيان:

أولاً:تعريف الأسلوب: هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير .[2]

ثانياً :تعريف الحكيم .

الحكيم فعيل بمعنى فاعل ،أو هو الذي يُحْكم الأشياء ويتقنها، وقيل الحكيم ذو الحكمة ،والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم،ويقال لمن يتقن دقائق الصناعات حكيماً.[3]

ثالثاً :تعريف الأسلوب الحكيم:

العدول بالخطاب عن جنس المتحدث به لسبب أو علة، ويكون أحياناً بأن يعدل المربي عن جنس المسؤول عنه، أو بأن يتلقى المتحدث أو السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم، أو بالإجابة بالشئ وضده أحياناً[4].

2- الأسلوب الحكيم في البلاغة والأدب :

عرفه الجرجاني[5]: "أن يتلقى المخاطَب بغير ما يترقبه، ويحمل كلامه على غير مراده، صرفاً لرأيه إلى ما هو أولى به، أو يتلقى السائل بغير مطلوبه، تنبيها على أنه أولى به" .

أو هو "تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنّه كان ينبغي له أن يسأل عن هذا السؤال أو أن يقصد هذا المعنى"[6] .

3-اطلاقات أخرى على الأسلوب الحكيم:

الناظر في كتب البلاغة والأدب يجد أنّ البلغاء والأدباء قد أطلقوا على هذا النسق اللغوي أكثر من اسم، وهذه الأسماء هي: الأسلوب الحكيم، وجواب الحكيم، واللغز في الجواب[7]، والقول بالموجب[8]، والمغالطة[9] .

اللغز في الجواب:

لم يعرف الجاحظ المقصود من هذا المصطلح، إنما نستطيع من خلال الأمثلة التي أوردها عليه أن نستنتج أن مصطلح اللغز في الجواب يقابل الأسلوب الحكيم، وهنا أورد مثالاً من الأمثلة التي أوردها الجاحظ حيث قال: كان الحطيئة يرعى غنما وفي يده عصا، فمر به رجل. فقال: يا راعي الغنم، ماعندك؟ قال: عجراءَ من سلم-يعني عصاه-قال: إني ضيف. قال: للضيفان (أي الضيوف) أعددتها.[10] ففي هذا المثال وفي غيره من الأمثلة الواردة عدول عن الجواب المطابق بصرف النظر عن الحكمة في العدول من الجواب المطابق إلى غيره.

القول بالموجب : وهو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم.[11] وقد قسم الخطيب القزويني في التلخيص[12] القول بالموجب إلى قسمين: حيث قال: القول بالموجب، وهو ضربان:

أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أُثبت له حكم، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم أو انتفائه وقد مثل له بقوله تعالى{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (8) سورة المنافقون.

الثاني : حمل لفظٍ في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه مثاله:

قلتُ:ثقلتُ إذا أتيت مراراً قال ثقلت كاهلي بالأيادي

والقول بالموجب يشترك مع أسلوب الحكيم في أنَّ كلا منهما من إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، ولكن يفترقان باعتبار الغاية فإنَّ القول بالموجب غايته رد كلام المتكلم وعكس معناه ، وأسلوب الحكيم: تلقي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً به على أنَّه أولى بالقصد ،أو تلقيه بغير ما يتطلب[13] .أو هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد.[14]

المغالطة : ذكر الشيء وما يتوهم مقابلاً له، وليس كذلك.[15] قال ابن الأثير[16]: وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شئ آخر ونقيض، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً.

وقد اخترت الأسلوب الحكيم من بين هذه الأسماء لأنَّه أشمل وأحكم، ولأنَّ شراح الحديث قد استخدموا هذا الاسم.

4- الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف:

بعد أن سقت تعريف الأسلوب الحكيم في البلاغة والأدب لا بد من تعريفه في الحديث النبوي الشريف،ومن خلال دراسة هذا الأسلوب في الحديث النبوي الشريف نستطيع تعريفه بما يأتي: **العدول بالخطاب عن جنس المتحدث به لنفع السائل أو المتحدث أو المستمع**. وهذا التعريف يحدد العلة التي من أجلها حصل العدول من النبي صلى الله عليه وسلم عن الجواب المطابق، إذ إنَّ العلة هي نفع السائل أو المتحدث أو المستمع،كذلك فإني لم أحصر تعريف الأسلوب الحكيم بحالة السؤال، بل أردت أن أبين أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم هذا الأسلوب في السؤال وغيره، ثم أدخلت طرفاً ثالثاً في التعريف وهو طرف مهم، ألا وهو: المستمع، ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يغفل بحال المستمع، ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون السائل ويفرحون بسؤاله لكي يزدادوا علماً.

المبحث الأول

بواعث الأسلوب الحكيم وصوره في الحديث النبوي الشري

المتأمل في الأحاديث النبوية الشريفة،التي ورد فيها هذا الأسلوب يجد أنَّ استخدامه ،كان باعثاً أحياناً، وصورة أحياناً أخرى، وقد تعددت البواعث والصور لاستخدام هذا النسق اللغوي، لذا رأيت أن أجمع بين الصور والبواعث في مكان واحد، ثم أنوه على ما كان صورة وما كان باعثاً وما اشترك فيه الباعث والصورة، ومن خلال استقرائي خلصت

إلى هذه البواعث والصور. وأقصد بالباعث هنا سبب العدول عن الجواب المطابق أو الزيادة عليه، واقصد بالصورة صورة الجواب .

1- العدول عن الجواب المطابق للسؤال وله صور:

قال ابن حجر[17]:قال ابن دقيق العيد : المعتبر بالجواب ما يحصل منه المقصود كيف كان ولو بتغيير أو زيادة، ولا تشترط المطابقة.هذا وقد كان للعدول عن الجواب المطابق صور هي:

أولاً: العدول عما لا ينحصر إلى ما ينحصر.

مثاله: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه قال : حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ: لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرْنُسَ وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ أَوْ الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ)[18]

قال النووي[19]:قال العلماء هذا من بديع الكلام وجزله، فإنَّه صلى الله عليه وسلم سُئل عما يلبس المحرم فقال: لا يلبس كذا وكذا فحصل في الجواب أنَّه لا يلبس المذكورات ويلبس ما سوى ذلك. وكان التصريح بما لا يلبس أولى لأنَّه منحصر وأمَّا الملبوس الجائز للمحرم فغير منحصر فضبط الجميع بقوله صلى الله عليه وسلم: لا يلبس كذا وكذا ويلبس ما سواه.

قال ابن بطال[20]: قال المهلب: فيه من الفقه أنَّه يجوز للعالم إذا سُئل عن الشيء أن يجيب بخلافه، إذا كان في جوابه بيان ما سئل عنه وتحديده.

قال الطيبي[21] : سأل الرجل عما يجوز لبسه فأجاب عنه بما لا يجوز لبسه، ليدل بالالتزام من طريق المفهوم على ما يجوز ،وإنما عدل عن الجواب المطابق إلى هذا الجواب لأنّه أحصر وأحصر، فإن ما يحرم أقل وأضبط مما يحل، أو لأنّ السؤال كان حقه أن يكون عما لا يلبس؛ لأنّ الحكم العارض المحتاج إلى البيان هو الحرمة، وأمّا جواز ما يلبس فثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب.

قال ابن حجر [22]: قال البيضاوي: سُئل عما يلبس فأجاب بما لا يلبس ليدل بالالتزام من طريق المفهوم على ما يجوز، وإنما عدل عن الجواب، لأنَّه أحصر وأحصر،وفيه اشارة أنّ حق السؤال أن يكون عما لا يلبس لأنَّه الحكم العارض في الإحرام المحتاج لبيانه ،إذ الجواز ثابت في الأصل، معلوم بالاستصحاب فكان الأليق السؤال عما لا يلبس ،وقال غيره : هذا يشبه أسلوب الحكيم، ويقرب منه قول الله تعال{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (219) سورة البقرة، فعدل عن جنس المنفق وهو المسؤول عنه إلى ذكر المنفق عليه لأنَّه أهم .

وقال في موضع آخر[23]:وفي الحديث أيضا العدول عما لا ينحصر إلى ما ينحصر طلبا للإيجاز، لأنّ السائل سئل عما يلبس فأجيب بما لا يلبس، إذ الأصل الإباحة، ولو عدد ما يلبس لطال به، بل كان أن يتمسك بعض السامعين بمفهومه فيظن اختصاصه بالمحرم، وأيضاً فالمقصود ما يحرم لبسه لأنّه لا يجب له لباس مخصوص بل عليه أن يجتنب شيئاً مخصوصاً.

قال القنوجي:هذا من بديع كلامه صلى الله عليه وسلم وفصاحته،لأنّ المتروك منحصر بخلاف الملبوس.[24]

من خلال ما تقدم يتبين لنا سرا آخر من أسرار الجواب وهو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب بما هو أنفع للسائل في وقت سؤاله، ويترجح لدي أن السائل سأل في وقت الحج، فكان الجواب على هذا الوجه هو الأنسب للسائل وللسامعين فالمقام هنا مقام تعليم، يتطلب ازالة جميع الشبهات عند السائل ففصّل له على هذا الوجه، ويؤيد هذا مانقلناه عن الحافظ ابن حجر.

أمّا فيما يتعلق بتصنيف هذا المثال إلى صورة أو باعث أو كلاهما، فنستطيع أن نصنف هذا المثال على أنّه صورة من صور الأسلوب الحكيم، وباعث للأسلوب الحكيم في نفس الوقت، صورة باعتبار شكل الجواب حيث إنّ هذا الجواب بهذه الصورة أحصر وأحصر، فإنّ ما يحرم أقل وأضبط مما يحل ،وباعث باعتبار مصلحة السائل وموضوع السؤال حيث إنّ حق السؤال أن يكون عما لا يلبس لأنّه الحكم العارض في الاحرام المحتاج إلى بيانه، إذ الجواز ثابت في الأصل فكان الباعث على هذا الجواب بهذه الصورة مراعاة مصلحة السائل وموضوع السؤال، وكذا تعليم السائل والسامع الطريقة الصحيحة للسؤال، وكأنه يقول له إنّ سؤالك على هذا الوجه خطأ والأصل أن يكون هكذا.

ثانيا: العدول رفقا بالمخاطب لكشف ما به من إحراج.

مثاله: ما رواه البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى[25].

قال الطيبي[26] : قالت معتذرة اعذرني من تلك الردة وخشونتها، فكان ظاهر الجواب غير ما ذكر من قوله : الصبر عند الصدمة الأولى، ولكن أخرجه مخرج الأسلوب الحكيم، أي دعي الاعتذار مني، فإنّ من شيمتي أن لا أغضب إلا لله، وانظري إلى تفويتك من نفسك الثواب الجزيل، والكرامة والفضل من الله تعالى بالجزع وعدم الصبر عند فجاءة الفجيعة.

قال ابن حجر[27]: قال الزين بن المنيّر: فائدة جواب المرأة بذلك أنّها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن بين لها أنّ حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال فهو الذي يترتب عليه الثواب .

وقال[28] : وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من خلال هذا الحديث يتبين لنا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يثأر ولا يثور لنفسه، فهو في الأمور الشخصية يسامح الآخرين ويعفو ويصفح وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم.

هذا المثال باعث من بواعث استخدام الأسلوب الحكيم، إذ إنّ الغرض من هذا الجواب على هذا النسق كشف الإحراج الواقع فيه المخاطب،فالمخاطب هنا وهي المرأة جاءت محرجة من النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنّ بعض الروايات التي ذكرها ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث وصفت أنّ الإحراج الذي وقعت فيه هذه المرأة لا يقل عن مصيبتها بمفقودها،وأمام هذا الإحراج عدل النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم عن الجواب المطابق عدولاً تاماً، وبيّن للمرأة ما هو أليق بها وماهو أنفع لها، بمعنى أنّه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت لنفسه في هذا الموقف مع أنّه سيد الثقلين.

ثالثا :العدول لغاية التربية.

مثاله: ما رواه الإمام مسلم قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَعِيلَ عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عُبَيْد قَالَ سَمِعْتُ عُمَيْرًا مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ قَالَ أَمَرَنِي مَوْلَايَ أَنْ أُقَدِّدَ لَحْمًا فَجَاءَنِي مِسْكِينٌ فَأَطْعَمْتُهُ مِنْهُ فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَوْلَايَ فَضَرَبَنِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَدَعَاهُ فَقَالَ: لِمَ ضَرَبْتَهُ فَقَالَ يُعْطِي طَعَامِي بِغَيْرِ أَنْ آمُرَهُ فَقَالَ الْأَجْرُ بَيْنَكُمَا[29]

قال الطيبي[30]:جوابه بقوله (الأجر بينكما)عن قوله (يعطي طعامي بغير أذني) من الأسلوب الحكيم، أي لا تضربه لهذه العلة،بل إذن له بالإعطاء ليحصل لكما الأجران،والمعنى الأهم بك من الضرب والأذى هو الأذن ،وهو تعليم وإرشاد لآبي اللحم لا تقرير لفعل عمير.

في هذا المثال نجد أنّ المصطفى غَـيّر مجرى الحديث، إذ إنّ تعليل آبي اللحم لضربه عبده؛ أنّه يعطي الطعام أو يتصدق بغير أذنه،وكان المجرى المتعارف عليه أن يجيز أو لا يجيز، لكنّ النبي صلى الله عليه وسلم غيّر مجرى الحديث للحاجة المتعلقة بالمخاطب، هذه الحاجة هي أنّ المخاطب في هذا المقام بحاجة ماسة للتربية ،فكان العدول للتعليم والإرشاد، وبناءً على ذلك فنستطيع أن نصنف هذا المثال على أنّه باعث من بواعث الأسلوب الحكيم

ومن خلال هذا المثال يتبين لنا أمراً في غاية الأهمية ألا وهو أنّ الأسلوب الحكيم لا يتعلق بالسؤال والجواب فحسب إنما هو أسلوب عام يستخدم في السؤال والجواب وفي الحديث العادي .

مثال آخر: ما رواه الإمام البخاري قال :حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْد اللَّه حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّه قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيد عَنْ أَبِيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه مَنْ أَكْرَمُ النَّاس؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ. فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّه ابْنُ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ خَلِيلِ اللَّه قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا [31]

قال النووي:قال العلماء : لما سُئِل –صلى الله عليه وسلم– أي الناس أكرم ؟ أخبر بأكمل الكرم وأعمه ، فقال : أتقاهم لله . فلما قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : يوسف الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما . فلما قالوا :

ليس عن هذا نسأل ، فَهِم عنهم أنَّ مرادهم قبائل العرب قال : " خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " ومعناه أنَّ أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا أو فقهوا فهم خيار الناس[32] .

قال الطيبي[33]:سلك رسول الله معهم أسلوب الحكيم على ألطف وجه، فقد جمع بين الحسب والنسب ،وقال إذا فقهوا.

من خلال هذا المثال ندرك مدى تعلق العرب بالأنساب والأحساب، وقد كان العرب في جاهليتهم يتفاخرون بأنسابهم وأحسابهم، ومن خلال تكرارهم للسؤال يتبين لنا أنَّ هدفهم من السؤال أن يحدد لهم النبي صلى الله عليه وسلم قبيلة باسمها أو بطناً من بطون العرب، لكنَّ النبي المربي –صلى الله عليه وسلم– أراد من جوابه لهم أن يربيهم، بين لهم –صلى الله عليه وسلم– الأساس والميزان في الإسلام لمثل هذه الأمور.

ويمكن تصنيف هذا المثال على أنَّه باعث من بواعث هذا الأسلوب، إنَّ النبي لم يرد تحديد قبيلة ولا بطن ولا اسم رجل، إنَّما أراد التربية فكان الباعث على العدول لفت أنظارهم إلى المقياس الذي يجب أن يقاس به، ثم أنَّ الإسلام لا يلغي شخصية الإنسان وأخلاقه القديمة، بل يهذّبها ويشذّبها، ما كان منها موافقا للإسلام يقبله وينميه، وما كان مخالفاً يرفضه ولا يعترف به، لذلك جعل الفقه حاكماً على الإسلام، وكلمة الفقه هنا عامة لا يراد بها علم الفقه المعلوم إنَّما المراد بها هنا فقه الإسلام.

رابعاً : العدول من معنى إلى معنى يحتملهما اللفظ الواحد لغرض التنبيه على الأولوية.

مثاله : ما رواه البخاري قال:حَدَّثَنِي صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْأَعْرَابِ جُفَاةً يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ، فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ. قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي مَوْتَهُمْ[34]

قال ابن حجر[35]: قال الكرماني :هذا الجواب من أسلوب الحكيم ،أي دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى فإنَّه لا يعلمها الا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى؛ لانَّ معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته، لأنَّ أحدَكم لا يدري مَنْ الذي يسبق الآخر.

وقال[36] :قال الداودي: هذا الجواب من معاريض الكلام ، فإنَّه لو قال لهم: لا أدري ابتداءً مع ما فيهم من الجفاء، وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم، لارتابوا فعدل إلى إعلامهم بالوقت الذي ينقرضون فيه، ولو تمكن الإيمان في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد.

في هذا المثال باعث، إنَّ عدول المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الجواب المطابق،باعثه مراعاة حال السائل، فالسائل هنا لم يتمكن الإيمان من قلبه ولا يحتمل الإجابة المباشرة ،كذلك فإنَّ الإجابة المباشرة لاينتفع بها السائل.

ومنه: ما رواه البخاري قال:حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"[37]

قال الطيبي[38]:سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم، لأنَّه سأل عن وقت الساعة وأيان إرساؤها ، فقيل له: فيم أنت من ذكراها ؟وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها ، وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة.

قال ابن حجر[39] :قال الكرماني :سلك مع السائل أسلوب الحكيم ،وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه ،أو هو أهم.

وفي هذا المثال باعث إذ إنَّ عدول المصطفى عن الجواب المطابق،باعثه مراعات مصلحة السائل،إذ السائل سأل عما لا طائل ولا فائدة من معرفته،فكان الجواب على خلاف ما أراد السائل والهدف من وراء ذلك نفع السائل.

خامساً: العدول من النوع إلى المتصف

مثاله: قال البخاري:حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ؟ خَيْرٌ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[40]

قال النووي[41]:قالوا : وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين لاختلاف حال السائل والحاضرين ، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام أكثر وأهم لما حصل من إهمالهما والتساهل في أمورهما ، ونحو ذلك . وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين.وفي هذا المثال كما في سابقه باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

مثال آخر: ما رواه البخاري قال :حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ [42]

سئل عن الخصال فأجاب بصاحب الخصلة ، وهذا نحو قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين) في هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم، حيث إنَّ الأصل بالسؤال أن يكون عن أفضل الأفعال التي تقرب إلى الله، فكان الباعث على هذا الجواب الذي فيه عدول تصحيح السؤال.

سادساً : العدول بسبب أن الأمر المسؤول عنه أمر غيبي لا يجوز الخوض فيه كالقدر مثلاً.

مثاله: ما رواه الإمام البخاري قال :حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ: مَا

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ، فَقَالَ:(اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إِلَى قَوْلِهِ لِلْعُسْرَى)[43]

قال الطيبي[44] :الجواب مِنْ الأسلوب الحكيم منعهم عليه الصلاة والسلام عن الإتكال وترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه وهو عبوديته عاجلا،وتفويض الأمر إليه آجلا يعني أنتم عبيد، ولا بُد لكم من العبودية،فعليكم بما أمرتم به ، وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية، لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وليلفت أنظار السامعين أنَّه لا طائل وراء البحث في هذا الأمر، ولما كان الأمر كذلك كان الأصل أن يوجه السائل إلى ما يجب أن يرعاه فكان الجواب النبوي على هذا الوجه، فهو بذلك صرفهم عمّا لا طائل من البحث فيه إلى ما فيه النفع والفائدةلهم في دينهم ودنياهم وآخرهم.

هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم ، إذ إنّ الباعث على هذا الجواب على هذا الوجه صرفهم عمّا لا طائل من البحث فيه إلى ما فيه النفع والفائدةلهم في دينهم ودنياهم وآخرهم.

سابعاً:العدول عن حقيقة الشيء إلى سببه.

مثاله:رواه الترمذي قال :حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ح و حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ[45]

قال الطيبي[46] : هذا الجواب من باب الأسلوب الحكيم.سأل عن حقيقة النجاة ،فأجاب عن سببها ،لأنَّه أهم بحاله وأولى،وكان من الظاهر أن يقول حفظ اللسان، فأخرجه على سبيل الأمر الذي يقتضي الوجوب مريداً للتقرير والاهتمام.هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

2- الزيادة ولها أسباب :

قال ابن حجر[47]:-في معرض تعليقه على تبويب الإمام البخاري (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله)- قال ابن المنير : موقع هذه الترجمة التنبيه على أن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم ، بل إذا كان السبب خاصاً والجواب عاماً جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لا على خصوص السبب لأنَّه جواب وزيادة فائدة . ويؤخذ منه أيضا أن المفتي إذا سئل عن واقعة واحتمل عنده أن يكون السائل يتذرع بجوابه إلى أن يعديه إلى غير محل السؤال تعين عليه أن يفصل الجواب،وأما ما وقع في كلام كثير من الأصوليين أن الجواب يجب أن يكون مطابقاً للسؤال، فليس المراد بالمطابقة عدم الزيادة ، بل المراد أنّ الجواب يكون مفيداً للحكم المسئول عنه قاله ابن دقيق العيد.

أولاً :الزيادة للفت النظر إلى ما يجب أن يراعى وينتبه إليه.

مثاله: ما رواه الترمذي قال:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ عِيسَى عَنْ شَرِيكٍ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ عَنْ زَاذَانَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَخْلَفْتَ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ عَلَيْكُمْ فَعَصَيْتُمُوهُ عُذِّبْتُمْ، وَلَكِنْ مَا

حَدَّثَكُمْ حُذَيْفَةُ فَصَدِّقُوهُ وَمَا أَقْرَأَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَاقْرَءُوهُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْتُ: لِإِسْحَقَ بْنِ عِيسَى يَقُولُونَ هَذَا عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: عَنْ زَاذَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهُوَ حَدِيثُ شَرِيكٍ[48]

قال الطيبي[49] :قوله : ولكن ما حدّثكم حذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبد الله أي ابن مسعود فاقرؤوه من الأسلوب الحكيم، لأنّه زيادة على الجواب كأنّه قيل لايهمكم استخلافي فدعوه، ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا بهما وخص حذيفة لأنّه كان صاحب سر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومنذرهم من الفتن الدنيوية. وعبد الله بن مسعود لأنّه كان منذرهم من الأمور الأخروية .

هذا المثال باعث وصورة، إذ إنّ الجواب بهذه الطريقة سببه أن يلفت أنظار الصحابة إلى أنّ المهم هو العمل بالكتاب والسنة وليس قضية الاستخلاف، وفي الوقت نفسه صورة من صور الزيادة.

ثانياً: الزيادة لغرض الإيضاح .

مثاله:ما رواه البخاري قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ مَا تَرَى فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً، فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ وِتْرًا فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِهِ[50]

في هذا المثال الاقتصار على جواب السؤال قد يَشْكُل، ووجه الإشكال هنا وقت صلاة الوتر متى تصلى لمن أراد القيام فقيده بقوله عليه السلام: فإذا خشي الصبح صلى واحدة.

وهذا باعث من بواعث الأسلوب الحكيم، إذ إنّ الباعث على هذا الجواب هو الإيضاح.

ثالثا : الزيادة لحاجة السائل:

مثاله: ما رواه الإمام الترمذي قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ مَالِكٍ ح و حَدَّثَنَا الْأَنْصَارِيُّ إِسْحَقُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمَةَ مِنْ آلِ ابْنِ الْأَزْرَقِ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح[51]

قال ابن العربي[52]: قوله الحل ميتته زيادة على الجواب، وذلك من محاسن الفتوى بأن يجاب السائل بأكثر مما سأل عنه تتميما للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير المسؤول.

قال النووي:فيه أي في هذا الحديث أنّه يستحب للعالم والمفتي إذا سُئل عن شيء وعلم أنّ بالسائل حاجة إلى أمر آخر متعلق بالمسؤول عنه لم يذكره السائل أن يذكره له ويعلمه إياه؛ لأنّه سأل عن ماء البحر فأجيب بمائه وحكم ميتته

لأنّهم يحتاجون إلى الطعام كالماء، قال الخطابي: وسبب هذا أنّ علم طهارة الماء مستفيض لدى العامة والخاصة، وعلم حل ميتة البحر تخفى فلما رآهم جهلوا أظهر الأمرين كان أحقاهما أولى.[53]

قال الطيبي[54] : وكان من ظاهر الجواب عن سؤاله أن يقول نعم ، فأطنب وزاد في الجواب . والزيادة على ما يقتضي الحال ذكره من شأن الهادي المرشد والحكيم العارف بالأدواء والدواء.

قال المباركفوري[55]:قال الرافعي:لما عرف صلى الله عليه وسلم اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يبتلى بها راكب البحر فعقب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة.

هذا المثال باعث،وصورة باعث، فقد إنّه روعي في الجواب مصلحة السائل فكان الجواب على هذا الوجه تتميماً للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير المسؤول،وصورة من صور الزيادة، إذ إنّ الزيادة صورة من صور الجواب الحكيم.

مثال آخر:روى الأمام البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ سَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، قَالَ فِي الثَّالِثَةِ فَأَعْلِمْنِي قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغْ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ وَاقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ وَتَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا[56]

قال النووي –في معرض تعليقه على حديث الطهور ماؤه الحل ميتته–: قال الخطابي :ونظيره –أي نظير حديث الطهور ماؤه– حديث المسيء صلاته،فإنّه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الصلاة فابتدأ بتعليمه الطهارة ثم الصلاة، لأنّ الصلاة تفعل ظاهراً، والوضوء في خفاء غالباً فلما جهل الأظهر كان الأخفى أولى والله أعلم.[57]

قال الطيبي[58] : عرف بنور معجزاته أنّه–أي السائل– ترك إسباغ الوضوء دون فرائضه.

وقال أيضاً: فيه الرفق بالمتعلم والجاهل ،وملاطفته،وإيضاح المسألة له ، وتلخيص المقاصد،والاقتصار في حقه على المهم،دون المكملات التي لا يحتمل حاله حفظها، والقيام بها.[59]

سأل الرجل النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يعلّمه الصلاة فابتدأ بتعليمه الطهارة. وهذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

مثال آخر :ما رواه الترمذي قال:حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو السَّوَّاقُ الْبَلْخِيُّ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ح قَالَ و حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَلِيٍّ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمَذْيِ فَقَالَ: (مِنْ الْمَذْيِ الْوُضُوءُ وَمِنْ الْمَنِيِّ الْغُسْلُ) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[60].

السائل في هذا المثال سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المذي، فأجابه عن الذي سأل وزاده بقوله(وَمِنْ الْمَنِيِّ الْغُسْلُ)وفي هذا المثال باعث وصورة،باعث من حيث حاجة السائل والمستمعين، والزيادة صورة من صور الأسلوب الحكيم.

رابعاً : الزيادة على الجواب بما يساويه حكماً.

مثاله : ما رواه الإمام مسلم قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَإِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي أَبَا عَاصِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي[61]

قال الطيبي : إنَّ فيه –أي هذا الحديث– وجوهاً من التوكيد تدل على أنَّ حكم الهجرة والحج حكم الإسلام: إحداها: أنَّه من أسلوب الحكيم ،فإنَّ غرض عمرو من ابائه المبايعة ما كان إلا حكم نفسه في إسلامه، وحديث الحج والهجرة زيادة في الجواب كأنَّه قيل :لا تهتم بشأن الإسلام وحده، وأنَّه يهدم ما كان قبله، فإن حكم الهجرة والحج كذلك.[62]

قال النووي[63]: أمَّا أحكامه ففيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأنَّ كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي .

هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

خامساً : الزيادة لغرض التعليم

مثاله: ما رواه البخاري قال:حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ وَكَانَ رَجُلًا مَبْسُورًا وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ مَرَّةً عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَهُوَ قَاعِدٌ فَقَالَ مَنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ، وَمَنْ صَلَّى نَائِمًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَائِمًا عِنْدِي مُضْطَجِعًا هَا هُنَا [64]

في هذا المثال سأل السائل عن (صَلَاةِ الرَّجُلِ وَهُوَ قَاعِدٌ) فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله:(وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ) وزاد التالي(مَنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ)و(وَمَنْ صَلَّى نَائِمًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ)وفي هذا الجواب باعث وصورة الباعث التعليم، تعليم السائل والمستمعين،وكذا صورة، إذ إنّ الزيادة هنا صورة من صور الأسلوب الحكيم.

سادسا:الزيادة للتشجيع ولشحذ الهمم والحث على العمل وتنمية عناصر الخير.

مثاله:مارواه مسلم قال:حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ.[65]

في هذا المثال سألت المرأة عن حكم حج الصبي،فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نعم،وزاد(وَلَكِ أَجْرٌ)هذه الزيادة فيها تشجيع على العمل وفيه تنمية عناصر الخير، فالجواب هنا باعث من بواعث الأسلوب الحكيم،وفي الوقت نفسه صورةٌ من صور الأسلوب الحكيم.

3-أضرب عن الجواب الخاص إلى التعميم العام.

مثاله:ما رواه الترمذي قال:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ قَالَ إِنْ يدْخلك اللَّهُ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ قَالَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ قَالَ: إِنْ يُدْخِلْكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ .[66] إسناده ضعيف، فيه المسعودي صدوق اختلط قبل موته وقد خولف.

قال الطيبي : قريب من أسلوب الحكيم ، فإنّ الرجل سأل عن الفرس المتعارف في الدنيا فأجابه صلى الله عليه وسلم بما في الجنة أي اترك ما طلبته ، فإنّك مستغنٍ عنه بهذا المركب الموصوف (انتهى). هذا المثال صورة من صور الأسلوب الحكيم.

4- لإعطاء قاعدة تصلح لجواب أكثر من سؤال.

مثاله :ما رواه الإمام مسلم قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ[67] ومعنى بطر الحق: عدم قبوله،وغمط الناس:أي احتقارهم.

قال الطيبي:والمقام يقتضيه–أي تحرير الجواب–، لأنّ تحرير الجواب إن كان أخذ الرجل الزينة لأجل أن يرى الله نعمته عليه، وأن يعظم شعائره لقوله تعالى(خذوا زينتكم عند كل مسجد)فهو جمال والله يحب الجمال.[68]

صورة من صور الزيادة وباعث والباعث هنا تعليمي، فقد عدل عن الإجابة المطابقة للسؤال وزاد عليها، وذلك في تعريف الكبر ليكون ذلك التعريف بمثابة القاعدة العامة التي تقاس عليها التصرفات والسلوكيات.

5_ بيان أنّ الأمر المسؤول عنه ليس ذا بال.

مثاله:ما رواه الإمام البخاري قال:حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ قَالَ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَا هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِشِرْكٍ يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا قَالَ اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا [69]

قال الطيبي[70] : قوله :اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا. من الأسلوب الحكيم، كأنّه قيل لهم: لا تهتموا بذلك، ولا تسألوا عنها فالذي يهمكم الآن أن تذكروا اسم الله عليها ،نظيره قول الله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) .في هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

6–الإضراب عن المذكور في السؤال إلى غيره لغاية تصحيح المفاهيم.

مثاله:ما رواه البخاري قال:حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[71]

قال ابن حجر[72]: وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، لأنّه لو أجابه بأنّ جميع ما ذكره ليس في سبيل الله احتمل أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل الله وليس كذلك ، فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال المقاتل فتضمن الجواب وزيادة . والحاصل مما ذكر أنّ القتال منشؤه القوة العقلية والقوة الغضبية والقوة الشهوانية ، ولا يكون في سبيل الله إلا الأول ، وقال ابن بطال : إنما عدل النبي صلى الله عليه وسلم عن لفظ جواب السائل لأنّ الغضب والحمية قد يكونان لله، فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك إلى لفظ جامع فأفاد دفع الإلباس وزيادة الإفهام.

هذا المثال باعث من بواعث الأسلوب الحكيم حيث إنّ جواب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الشكل باعثه تصحيح المفاهيم.

7– الإضراب عن الجواب إلى غير متطلب السؤال لغاية التربية:

مثاله: مارواه أبو داود:حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنْ سَيَّارِ بْنِ مَنْظُورٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا بُهَيْسَةُ عَنْ أَبِيهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنَ أَبِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَمِيصِهِ فَجَعَلَ

يُقَبِّلُ وَيَلْتَزِمُ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قَالَ الْمَاءُ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قَالَ الْمِلْحُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قَالَ أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ[73] إسناده ضعيف

في هذا المثال وبعد إلحاح السائل وجهه النبي صلى الله عليه وسلم توجيها تربويا،كأنّه يقول له ينبغي أن يكون سؤالك أي الأفعال خير،فهذا باعث من بواعث الأسلوب الحكيم.

المبحث الثاني:الآثار المترتبة على فهم أسلوب الحكيم.

إنّ من الأهداف والمقاصد الأساسية التي ينبغي للمسلم أن يرعاها، وأن يعمل جاهداً بغية الوصول إليها، الحرص على تطوير الخطاب من أجل إصلاح الناس وكسبهم، ومما لا شك فيه أنّ أسلوب الخطاب يشكل عنصراً أساسياً من عناصر قبول الطرح، والمتأمل في الطريقة التي يطرح فيها الإسلام في أيامنا هذه، ثُمّ في الطريقة التي يحاور المسلمون بعضهم بعضاً، يجد أنّ ثمّة انحرافاً عن المنهج النبوي، ذلك أنّ عناصر الخطاب هي: المتكلم ،والمتلقي، والنص موضوعاً وأسلوباً، وهذا الأخير أعني الأسلوب من الأهمية بمكان بحيث إن قبول الخطاب متوقف ومبني عليه، لذلك تجد بعض مهرة تسويق الكلام يسوقون الباطل ويقبل منهم، وما ذلك إلا لمهارتهم في طرح خطابهم،لذلك كان أولى بمن تبع المصطفى صلى الله عليه وسلم وأولى بصاحب الحق أن يطور أسلوب خطابه، لأنّه لا يكفي في الطرح أن يكون صحيحا،بل لا بد أن يرافق هذه الصحة الأسلوب الحسن، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (125) سورة النحل ، والناظر في أسلوب خطاب النبي صلى الله عليه وسلم،يرى الحذاقة واضحة، فقد كان صلى الله عليه وسلم منقطع النظير في خطابه، ماهراً في الطرح والجواب والمناظرة، لا لإحراج السائل، ولا لإظهار قدراته ومهاراته جلّ عن ذلك، بل لمصلحة السائل ولنفع السامع،وهذا الهدف السامي هو سبب من أسباب القبول الذي حظي به المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إنّ تطوير أسلوب الخطاب سعياً لنفع الناس لله وفي الله لا لهذه ولا لتلك، أمر يجب أن نقف عنده طويلاً، لنعلم السبب في عدم قبول طرحنا مع وجود الكثير من الخطباء والمتكلمين والمنظرين. وفي هذا المبحث سأتناول بالبحث الآثار المترتبة على هذا الأسلوب النبوي الرفيع،

أ-على الدعاة إلى الله. ب: المعلمين.

أ-الآثار المترتبة على فهم أسلوب الحكيم على الدعاة إلى الله.

الأسلوب الحكيم منهج خطاب هدفه نفع الناس وكسب قلوبهم بلفت أنظارهم بطريقة مؤدبة مهذبة إلى ما يجب الاهتمام به ، واستخدام هذا الأسلوب من علامات الوعي والفطنة عند الداعية إلى الله، إذ إنّ تنوع أحوال الناس وتفاوت مراتبهم وعقولهم يوجب على المصلح أن يراعي هذا الاختلاف وأن يتحلى بالصفات اللازمة لمخاطبة الآخرين ومن الآثار المترتبة على فهم هذا الأسلوب:

أولا : تفادي الصدام مع أصحاب الأهواء وحسن التخلص منهم.

يتعرض الداعية إلى الله سبحانه وتعالى إلى مواقف محرجة وقد يكون سبب هذه المواقف الداعية وقد يكون المخاطب، ومن هذا القبيل بعض الأسئلة التي يثيرها بعض المخاطبين أو المدعوين وهذه الأسئلة منها ما هو بقصد التعلم وهذا ممدوح لا غبار عليه، ومنها ما يكون الباعث عليه سوء النية ويكون السائل من أهل الأهواء، وقد يكون القصد منه تصنيف الداعية أو استدراجه أو إحراجه، ويتطلب هذا اللون من الأسئلة لباقةً وحسنَ تخلصٍ، ولا يكون هذا إلا باتباع هذا الأسلوب النبوي وباستخدامه يتخلص الداعية من الإحراج، ويخلص السائل كذلك منه، وهنا لا بد من التنويه إلى ضرورة تصنيف السؤال، وحتى يتم هذا الأمر فلا بُدَّ من أن نأخذ بعين الاعتبار: طبيعة السائل، والمسؤول، والمسؤول عنه، ووقت السؤال، وكثيراً ما يقع كبار الدعاة في مزالق من هذا القبيل وبخاصةً في المقابلات الإعلامية، وسبب ذلك أنَّ السائل أومُحري اللقاء ذو مهارةٍ عاليةٍ في هذا الميدان ومقابله حُسن النية والبساطة، وهذه المشكلة بحاجة إلى دراسة جادة، وأرى أن الغربَ قد تقدم في هذا المجال حيث تعقد دورات متخصصة لتدريب كوادرهم وقياداتهم على مواجهة مثل هذه المواقف المحرجة ،وهذا الأثر نستفيده من أحاديث كثيرة، منها حديث(إنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ)تقدم تخريجه.

ثانياً : إدراك ما يجول بالخواطر.

من خلال دراسة هذا الأسلوب نجد أنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ما بين السطور، إذ كان يأتيه المستفسر الحيي فيسأل عن شيء، وفي نفس الوقت هو بحاجة ماسة إلى شيء آخر، لكنّه يستحي من أن يظهره، أو يأتيه السائل فيسأل عن بعض ما يجول في خاطره حباً في الاختصار أو مراعاة لأمر آخر، فكان صلى الله عليه وسلم لَمّاحاً، وكان بمجرد سماعه الخطاب ونظره في وجه السائل كان يظهر له مايجول في الخاطر فيجيب عن الظاهر وما يجول في الخاطر ،وأرى أنَّ الداعية بأمسّ الحاجة إلى أن يتمتع بهذه الصفة، ولا بُدَّ من طول الخبرة وحدة الذكاء حتى يستطيع الداعية أن يصل إلى مستوى متقدم في هذا المجال ،ومن مقويات هذا التوجه: الإخلاص، ومداومة العبادة والعلم،وهذا الأثر نستفيده من أحاديث كثيرة منها: قوله عليه الصلاة والسلام(هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ)وحديث(قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغْ الْوُضُوءَ) تقدم تخريجه.

ثالثاً:التركيز.

يحتاج الذي يريد أن يطبق هذا الأسلوب أن يركز في سماع السؤال أو الحوار، ذلك أنَّ الإجابة أو الدخول في الحوار يصعب مع عدم التركيز ويظهر فيه الخلل من الداعية،وأقصد بالتركيز هنا متابعة المتحدث أو السائل أو المحاور متابعة تامة،مع القدرة على ربط هذه المعلومات بما هو مخزون في الذاكرة،وفي الوقت نفسه استخدام القياس والقدرة على إيجاد مداخلة أو إجابة أو طرح مناسب .

رابعاً: التوصل إلى نتيجة.

الناظر في استخدام المصطفى –صلى الله عليه وسلم– يجد أنّ المقصود الأساسي من وراء استخدامه صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب التوصل إلى نتيجة،لذلك نرى أنّ الإجابة التي كان يجيب بها المصطفى مختصرةٌ واضحة منتقاة، وهذا أمر في غاية الأهمية لأنّ الذي يقصد التوصل إلى نتيجة يضع نصب عينيه مراعاة حال السائل بتوصيل الفكرة إليه بأبسط ما يمكن بهدف الوصول إلى النتيجة المرجوة،لذلك نجد أنّ المحاور أو الذي يجيب على أي تساؤل بصرف النظر عن الموضوع المطروح إذا لم ينتبه إلى قضية الوصول إلى نتيجة، أو إذا ركّز على إظهار مهارته في الرد أو الحوار أو الطرح نجد أنّ الفائدة منه تكاد تكون معدومة،لذلك يجب التركيز على قضية التوصل إلى نتيجة،ويمكن أن نستفيد هذا الأثر من معظم الأمثلة المطروحة، وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله صلى الله عليه وسلم(الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ).

خامساً: مخاطبة الناس بما هو أليق بهم ،وأقوم،وأرغب لهم.

وهذا في غاية الأهمية، إذ إنّ تفاوت الناس يملي على الداعية أن ينهج هذا النهج ثم إنّ احتياجات الناس تتفاوت من مكان لآخر ومن زمن لآخر، لذلك يجب على الداعية أن يركّز في جوابه وفي حواره على ماهو أليق للناس وأقوم وأرغب لهم،وتتعلق هذه القضية بشكل مباشر بقصد وهدف الداعية إذ إنّ قصد الداعية وهدفه إلى الله أن يكسبَ الناس، وأن يفيدَ الناس، وأن يصل إلى نتيجة،وإذا كان هذا هو القصد فيجب الانتباه والدقة المتناهية إلى الناس الذين يشكلون بالنسبة للداعية إلى الله رأس المال فيراعيهم ويخاطبهم بما هو أليق بهم ،وأرغب لهم ويمكن أن نستفيد هذا الأثر من قوله عليه الصلاة والسلام(يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ)تقدم تخريجه.

سادسا:الإجابة عما يجب أن يكون سؤالا لا عن السؤال.

تشكّل الأسئلة أمراً مهماً بالنسبة للداعية، فأكثر ما يمكن أن يواجهه الداعية هو الأسئلة والكثير من الناس، يخطئون في طرح السؤال، وقد يكون الخطأ في طرح السؤال بحسن نية، وقد يكون بسوء نية ، ولا بُدَّ للداعية هنا أن لا يكون حرفياً، وأن لا يشكل السؤال عائقا أمامه، بل يجب على الداعية أن يتجاوز صيغة السؤال، ويجيب بحسب حال السائل واحتياجه، وهذا الأثر يمكن أن نستفيده من جوابه صلى الله عليه وسلم:(أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرْنُسَ وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ أَوْ الزَّعْفَرَانُ).

سابعا: الزيادة على الجواب.

وهذا الأمر أي الزيادة على الجواب يقدره الداعية وضابطه الأساس النفع للسائل أو المستمع ،فإذا قدر الداعية أنّ الاكتفاء بمجرد الإجابة المطابقة للسؤال لا تفي بالمطلوب ولا يحصل منها النفع زاد على الإجابة،والزيادة على الإجابة لها فوائد جمة تعود بالنفع على السائل والمستمع ومن فوائدها:

أ- إزالة اللبس والإبهام فإذا قدّر الداعية أنّ الاكتفاء بالجواب المطابق يلبس على السائل أو المستمعين أوبعض المستمعين زاد في الجواب بقدر ما يزيل هذا اللبس أو الإبهام وهذا أمر في غاية الأهمية ، لأنّ هناك مشكلةً حقيقيةً ألا وهي أنّ بعض الإجابات تخلق لبساً وإبهاماً عجيباً، وبدل أن يستفيد السائل من الجواب تجد أنّه أصبح أكثر تشويشاً بسبب الإجابة حتى إنّ البعض يتمنى أنّه لم يطرح السؤال قط،لذلك فمن اساسيات الجواب الحكيم إزالة اللبس عن الإجابة ما أمكن، ويمكن استفادة هذا الأثر من قوله صلى الله عليه وسلم(فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى)تقدمت تخريجه.

ب- أحيانا يتذرع بعض الناس بجواب الداعية أو المفتي ويعديه إلى غير محل السؤال، وفي هذه الحالة يتعين عليه أن يزيد في الجواب بما يزيل إمكان وقوع مثل هذه الحالة، وهذا الأمر يقدره الداعية(قَالَ إِنْ أَسْتَخْلِفْ عَلَيْكُمْ فَعَصَيْتُمُوهُ عُذِّبْتُمْ، وَلَكِنْ مَا حَدَّثَكُمْ حُذَيْفَةُ فَصَدِّقُوهُ وَمَا أَقْرَأَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَاقْرَءُوهُ) تقدم تخريجه.

ج- نفع السائل لأنّ السائل يسأل عن حكم معين والمجيب بالزيادة يزيد بقدر حاجة السائل مثل الطبيب تذهب إليه تشكو الصداع وتطلب منه دواءً للصداع، وفي بعض الأحيان يعطيك دواءً للصداع ودواءً للمعدة، لأنّه يتوقع أنّ سبب الصداع الذي تعاني منه المعدة والداعية إلى الله طبيب حاذق يجيب ويزيد على قدر حاجة السائل(هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ).

ء-نفع المستمع. كثيراً مايستفيد المستمع لجواب السؤال، والزيادة على الجواب فيها من النفع العظيم على المستمع، ذلك أنّ المستمع قد يعاني من أمر يكون علاجه في هذه الزيادة كذلك فإنّه يجب على الداعية إلى الله أن يراعي المستمعين، وإذا قدّر أنّ المستمعين أو بعضهم بحاجة إلى زيادة في الجواب زاد ولو لم تكن حاجة السائل إلى الزيادة قائمة، بمعنى آخر الداعية إلى الله إذا حاور أو ناقش أو سئل فإنّه لا يمكن بحال أن يكتفي بالسائل، بل يجب عليه أن يتجاوز السائل، وكثيراً ما ينتفع غير السائل من السؤال، وكثيراً ما يفرح غير السائل بالسؤال ولاسيما إذا كان السؤال يلامس مرضاً منتشراً بين الناس،وفي مثل هذه الحالات لابُدّ من الدقة العالية والتركيز في الجواب والزيادة هنا في غاية الأهمية،وقد تكون الزيادة بتفصيل الجواب، وقد تكون بتحذير من سوء فهم وقد تكون بأمور أخرى.

هـ- الإيضاح. وهذا من فوائد الزيادة لأن الاكتفاء بمجرد الجواب المطابق لا يوضح الجواب للسائل ومع الزيادة يحصل التوضيح.

ب- الآثار المترتبة على فهم أسلوب الحكيم على المعلمين :

المتأمل في السؤال والجواب يجد أنّهما يشغلان حيزاً كبيراً وهاماً في النشاطات التربوية والتعليمية، ويشكلان أهمية كبيرة لمختلف عناصر الموقف التعليمي من معلم ومتعلم وطريقة ومحتوى وتقويم وأهداف تعليمية،والتفسير المنطقي للسؤال من قبل الطالب في أي مرحلة من مراحل التعليم وبخاصة في مراحل التعليم الأولى أنّ الطالب يحاول الاستزادة العقلية والمعرفية بالسؤال،لذلك يجب على المعلم أن يتعلم فَنّ الجواب أي الأسلوب الحكيم في الجواب وأن يستفيد من منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وسأذكر الجوانب التي يمكن للمعلم أن يستفيدها في أجاباته ومحاوراته للطلاب من خلال الأمثلة التي أوردناها:

أولا: تجنيب الطالب السائل الإحراج.

يتعرض الطالب في بعض الأحيان إلى مواقف محرجة،نتيجة لتصرف خاطئ مع الأستاذ أو مع بعض أصدقائه أو نتيجة لسؤال غريب، وعلى الأستاذ في مثل هذه الحالات أن يخلّص الطالب من هذا الموقف وتخليص الطالب من المواقف المحرجة له أثر إيجابي في العملية التربوية، وكذلك فإنّ هذا السلوك يرفع من قدر الأستاذ عند الطالب وهذا الأثر نستفيده من حديث(فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)، إذ إنّ النبي أراد بعدوله عن الجواب المطابق تجنيب المرأة الإحراج.

ثانيا: التركيز على غرس المعيار الصحيح الذي يتفاضل الناس به عند الله ألا وهو التقوى.

وكثيراً ما ينشغل الطلبة فيما بين بعضهم بعضا في النقاش في هذا الأمر، من هو الأفضل؟ ولكل منهم معيار خاص به ورثه من عائلته، والطلبة أحياناً يلجئون إلى الأستاذ ليفصل بينهم وهنا يأتي دور الأستاذ ليعمق القيمة التي جاء بها الإسلام ليفاضل على أساسها بين الناس ألا وهي التقوى، هذا الأثر نستفيده من خلال حديث(قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ).

ثالثاً: لفت نظر الطالب من خلال الإجابة على السؤال إلى ما يجب أن يراعى وينتبه إليه.

يسأل الطالب في بعض الأحيان عن أشياء لا تهمه أو أنّ هناك أموراً أخرى يجب أن يهتم بها الطالب غير المسؤول عنها، وفي مثل هذه الحالات يجب على المدرس أن يلفت نظر الطالب إلى ما هو أهم وإلى ما يجب الاهتمام به،فمثلا لو سأل طالب في الصف الخامس الأساسي الأستاذ عن الزواج، والطالب يحتاج أن يتعلم أموراً أخرى أولى من الزواج فيجب على المعلم أن يلفت نظر الطالب بالحكمة إلى ما يجب الاهتمام به. نستفيد هذا الأثر من حديث النبي (كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْأَعْرَابِ جُفَاةٌ يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ) وكذلك من حديث (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا)ففي الحديثين عدل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الجواب المطابق، لأنّ هناك أمور أخرى يجب الانتباه إليها أولى من المسؤول عنها.

رابعاً: أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ،وأن يعطي كل طالب على قدر طاقته.

يتفاوت الطلبة في أفهامهم وكذلك في قدراتهم، وعلى ذلك فعلى المعلم أن يراعي هذا التفاوت والاختلاف فيما بين الطلبة،لذلك قد يختلف الجواب عن السؤال الواحد لاختلاف قدرات وميول الطلبة، وهذا الأمر يحدده المعلم، وبناءً عليه ينطلق المعلم في اجاباته للطلبة.

نستفيد هذا الأثر من حديث(أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ)فلا شك أنّ السائل غني أو مقصّر في هذا الجانب.

فمثلاً لا يعقل من المعلم إذا سأله طالب فقير الحال عن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه أن يجيبه بالصدقة، وهكذا فيجب على المعلم أن يراعي قدرات وميول وظروف الطلبة.

خامساً: أن لا يخوض المعلم في الأمور الغيبية التي لا ينبني على العلم بها فائدة،والتي لا يمكن للطلبة إدراكها.

في المراحل الأساسية من مراحل التعليم ينشغل الطلبة بالأسئلة الغيبية، ويجب على المدرس أن يتعامل مع هذا النوع من الأسئلة بدقة بالغة، إذ إنّ الجواب المباشر لمثل هذه الأسئلة يوقع الطلبة بإشكاليات كثيرة،فيجب على المعلم العدول بالجواب إلى ما فيه فائدة ونفع الطلاب. نستفيد هذا الأثر من حديث (فَقَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ).

سادساً: إذا حيف على الطالب أن يقع في الإشكال نتيجة الإجابة على سؤال فيزيد المعلم في الإجابة لكي يزال هذا الإشكال.

يُحدث أحياناً الاقتصار على الإجابة فقط إشكالاً لدى الطالب، ففي مثل هذه الحالات يجب على المعلم أن يزيد في إجابته ما يزيل الإشكال، وهذا الأثر نأخذه من حديث(فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى).

سابعاً : الإجابة على السؤال والزيادة على الإجابة إن قدر المدرس أن للطالب حاجة للزيادة أو أن الطالب يتحرج من إتمام السؤال.

يستحب للمعلم إذا سئل عن شيء وعلم أنّ بالطالب حاجةً إلى أمر آخر متعلق بالمسؤول عنه لم يذكره الطالب، أن يذكره له ويعلمه إياه، فكثيرا ما يتحرج الطالب من إتمام سؤاله فيسأل عن قضية ما، وهناك قضية أخرى يتحرج أن يسأل عنها،أو أنّه يسأل عن قضية ويدل سؤاله على أنّه بحاجة إلى أن يتعلم قضية أخرى، ففي مثل هذه الحالات يجب على المدرس أن يجيب على السؤال ويزيد بقدر حاجة الطالب، وهذا الأثر نستفيده من حديث(هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ)وحديث(قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغْ الْوُضُوءَ)

ثامناً: تشجيع الطلبةوشحذ هممهم وحثهم على العمل وتنمية عناصر الخير.

من الأمور التي يجب مراعاتها من قبل المعلم أن يداوم على تشجيع الطلبة وأن يشحذ هممهم، وأن ينمّي عناصر الخير فيهم، ويكون ذلك بأن يستغل المعلم الأسئلة المطروحة في هذا الميدان، وأن يجيب عليها بما يضمن تحقيق هذا الهدف،ونستفيد هذا الأثرمن حديث(أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ)

تاسعاً: الجواب بقاعدة عامة تصلح لإجابة السؤال وغيره.

من الطرق الناجحة للإجابة الشافية لتساؤلات المتعلمين أن يجيب المعلم على السؤال بإعطاء قاعدة عامة تصلح لإجابة السؤال وغيره إن أمكن،ذلك أنّ القاعدة العامة يمكن تطبيقها على جميع الحالات المتشابهة، في حين الإجابة بإعطاء حكم جزئي يصلح للسؤال المطروح فقط مع أنّه مفيد إلا أنّ الفائدة منه محدودة،ونستفيد هذا الأثر من قوله

صلى الله عليه وسلم:(الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)فهذه الإجابة من المصطفى صلى الله عليه وسلم تصلح إجابة للسؤال المطروح ولغيره، وهي عبارة عن قاعدة عامة مفيدة لتساؤلات كثيرة.

عاشراً : الإضراب عن المذكور في السؤال إلى غيره لغاية تصحيح المفاهيم.

في بعض الأحيان تتطلب الإجابة أن يضرب المعلم عن المذكور في السؤال، والهدف من ذلك أن يبين للسائل أنّ الأمور أو المقاييس الواردة خاطئةٌ، ثم بعد ذلك هو يعطي الأصل ليصحح المفاهيم وهذا الأثر نستفيده من قول المصطفي:(قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

حادي عشر: أن لا يعنف المتعلم ولا يحقر شأنه ولا يستصغره.

يسأل بعض الطلبة أسئلة غير صحيحة أو يتصرف بعض الطلبة تصرفاً غير لائق، وفي اتباع الأسلوب الحكيم مع مثل هؤلاء الطلبة مخرجاً رائعاً يتوافق مع العملية التربوية والتعليمية، ذلك أنّ تحقير الطالب واستصغاره يعطي مفعولاً سلبياً على الطلبة،وهذا الأثر نستفيده من قوله صلى الله عليه وسلم:(أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ).

ثاني عشر: الذكاء.

المعلم الصالح الذي يريد تطبيق هذا الأسلوب والإفادة منه بحاجة إلى قدر كبير من الذكاء، وبدون هذا العنصر المهم لا يمكن أن ينجح المعلم بتطبيق هذا الأسلوب لأنّه يعتمد على اللباقة والفصاحة وهما بحاجة إلى الذكاء.

ثالث عشر: التعمق في مادة التخصص.

لا يستطيع المعلم بحال من الأحوال أن يتبع هذا الأسلوب بدون التعمق في مادة التخصص، لأن من أهم العناصر التي ينبني عليها اتباع هذا الأسلوب الإحاطة بالمادة العلمية ومعرفة الأولى والأهم.

رابع عشر: استغلال اهتمامات الطلاب وهُواياتهم في القضية التعليمية.

الأستاذ الناجح يستطيع أن يحدد وبدقة اهتمامات الطلاب وهواياتهم،وبناءً على ذلك فهو يستغل الحوار والنقاش والأسئلة باستخدام هذا الأسلوب، لاستغلال اهتمامات الطلبة وقدراتهم وهواياتهم.

خامس عشر: الفصاحة وحسن البيان.

هذا الأسلوب الذي هو موضوع بحثنا من الموضوعات البلاغية بأصله، لذا فإنّ تطبيق هذا الأسلوب والإفادة منه لا تكون بحال إذا لم يكن المعلم فصيحاً حسن البيان.

سادس عشر: حفظ حرية التعبير والتفكير.

من الأمور الأساسية في العملية التربوية والتعليمية، أن يحفظ الأستاذ حرية التعبير والتفكير لدى الطلبة،والناظر في جميع الأمثلة التي سقناها يجد أنّها دليل واضح وجلي على أنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يحفظ حرية التعبير والتفكير، بمعنى أنّه لا يحجر على فكر إنسان ولا يحتقر فكراً أو سؤالاً، بل هو يقف موقف المربي الناصح المصوب وفي كل ذلك نفع المتحدث أو السائل أو المحاور.

ثامن عشر: المعتبر بالجواب ما يحصل منه المقصود كيف كان ولو بتغير أو زيادة ولا تشترط المطابقة.

يجب أن يركز الأستاذ في إجاباته للأسئلة على ما يحصل منه المقصود كيف كان ولو بتغير السؤال ،أو الزيادة على السؤال ولا تشترط المطابقة، وهذا يقدّره المعلم، أمّا التركيز على صورة السؤال والاكتفاء بها فضررها أكثر من نفعها.

الخاتمة

وتتضمن أهم نتائج البحث وهي:

1-الأسلوب الحكيم عند البلغاء والأدباء العدول بالخطاب عن جنس المتحدث به لسبب أو علة.

2-الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف: العدول بالخطاب عن جنس المتحدث به لنفع السائل أو المتحدث أو المستمع.

3-للأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف بواعث كثيرة أجملها بـــ: نفع السائل ، أو المتحدث، أو المستمع.

4-للأسلوب الحكيم في الحديث النبوي الشريف آثار تربوية، وتعليمية يجب على الدعاة إلى الله والمعلمين وغيرهم الإفادة منها.

5- يجب الربط بين العلوم الدنيوية والدينية، ذلك أن أساس العلوم الدنيوية موجود ومستمد من ديننا الحنيف.

وأخيراً الحمد لله على التمام وصلى الله على سيدنا وأسعدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

الهوامش

[1] - اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد علي البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي 1977م، 95/1.

[2] - الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الأدبية، ط9، 1995مكتبة النهضة المصرية، ص 44.

[3] - ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،دار صادر بيروت بلا، 140/12، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 418،419/1

[4] - هذا التعريف عبارة عن جمع لعدة تعريفات سيأتي تفصيلها.

[5] - الجرجاني،محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة،تحقيق د.عبد القادر حسين مكتبة الآداب القاهرة 1418هـ/ 1997م، 50،51.

[6] - الهاشمي،السيد أحمد،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، 1420هـ، 1999م، ص 310-312

[7] - الجاحظ،عمرو بن بحر، البيان والتبين، تحقيق فوزيّ عطيوي، دار صعب، بيروت، ص288.

[8] - القزويني، محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه الأديب عبد الرحمن البرقوقي، الناشر دار الكتاب العربي 1904، 286.

[9] - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن،ص42.

[10] - الجاحظ، عمرو بن بحر،البيان والتبين، تحقيق فوزي عطيوي، دار صعب، بيروت، ص288.

[11] - ابن أبي الإصبَع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق د.حنفي محمد،منشورات المجلس الأعلى للشوون الإسلامية 1383، 599/2.

[12] - القزويني، محمد بن عبد الرحمن ، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه الأديب عبد الرحمن البرقوقي، الناشر دار الكتاب العربي 1904، 286.

[13] - الطيبي،حسين بن محمد، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تحقيق د.هادي عطية، عالم الكتب ط1 1407هـ، 1987م، ص 295-299.

[14] - حسين، عبد القادر، فن البديع، دار الشروق ط1 1403/1983هـ، ص104.

[15] - الفوائد المشوق ص42.

[16] - ابن الأثير،ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. أحمد الحوفي، ط2، منشورات دار الرفاعي الرياض، 1404هـ/1984م، 91/3.

[17] - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،إشراف عبد العزيز بن باز، دار الفكر للطباعة، بلا، 402/3.

[18] - البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح، ترقيم د.مصطفى البغا،مؤسسة علوم القرآن،1987، كتاب العلم، باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله، برقم 134، مسلم، الحج، ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح،برقم2012.

[19] - النووي،محيي الدين بن شرف، شرح صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1929،1، 73/8.

[20] -ابـــن بطال،علـــي بـــن خلف،شـــرح صـــحيح البخاري،ضـــبط وتعلـــيق ياســـر بن إبراهيم،مكتبة الرشيد/ الرياض ط 1،2000،1420،1/213.

[21]- الطـــيبي، حســـين بن محمد، الكاشف عن حقائق السنن، اعتنى به محمد علي سمك، منشورات دار الكتب العلمية بيروت 1422هـــ/2001مـــ 5/ 375،374.

[22] - فتح الباري 3/402.

[23] -فتح الباري 1/231.

[24] - القنوجي، صديق حسن علي، عون الباري لحل أدلة البخاري، دار الرشيد /حلب سوريا،1،1984/287.

[25] - البخاري، الجنائز، باب زيارة القبور، حديث رقم 1283، مسلم، الجنائز، باب ما جاء في الصبر عند الصدمة الأولى،برقم 1535.

[26] - الكاشف عن حقائق السنة، 3/415.

[27] -فتح الباري 3/150.

[28] - المصدر السابق 3/150.

[29] - مسلم، الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه، برقم 1703، وتقديد اللحم تقطيعه.

[30] -الكاشف 4/157.

[31]- الـــبخاري،أحاديث الأنبـــياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا برقم 3353، مسلم، الفضائل،باب من فضائل يوسف،برقم 4383.

[32] - النووي،شرح مسلم،15/34.

[33] - الكاشف 9/158.

[34]-البخاري، الرقاق، باب سكرات الموت، برقم 6511.

[35] - فتح الباري 11/364.

[36] - فتح الباري 11/364.

[37] - الـــبخاري، المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم 3688،مسلم،البر والصلة والآداب،باب المرء مع من أحب،برقم 4775.

[38] - الكاشف 9/234،233.

[39] - فتح الباري 10/560.

[40] - الـــبخاري، الإيمـــان، بـــاب إطعـــام الطعام من الإسلام، برقم11، مسلم، الإيمان،باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل،برقم 56.

[41] -النووي،شرح مسلم،15/134.

[42] - البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، برقم 10.

[43] - البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم 4945، مسلم، القدر، باب كيفية خلق الآدمي..،برقم4787.

[44] -الكاشف عن حقائق السنن 243/1.

[45] -الترمذي،الزهد عن رسول الله، ما جاء في حفظ اللسان،برقم 2330.

[46] - الكاشف 131/9.

[47] -فتح الباري 231/1.

[48] - الترمذي، المناقب عن رسول الله، مناقب حذيفة بن اليمان، برقم 3812.

[49] - الكاشف عن حقائق السنن 353/11.

[50]- البخاري، الصلاة، الحلق والجلوس في المسجد، برقم 472.

[51]- الترمذي، الطهور عن رسول الله، ما جاء في ماء البحر أنه طهور، برقم 69.

[52] - ابن العربي المالكي،عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،89/1.

[53] - النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذب،دار الفكر بلا تاريخ،84/1.

[54] - الكاشف عن حقائق السنن 123،124/2.

[55] - المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1990،1/ 188،189

[56] -البخاري، الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، برقم 6174.

[57] - المجموع 84/1.

[58] -الكاشف 338/2.

[59] - الكاشف 338/2.

[60] - الترمذي، الطهارة عن رسول الله،ما جاء في المني والمذي، برقم 106.

[61] - مسلم، الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، برقم 173.

[62] - الكاشف 170/1

[63] - شرح مسلم 318/2.

[64] - البخاري، الجمعة،باب صلاة القاعد بالإيماء، برقم 1049.

[65] - مسلم الحج، باب صفة حج الصبي وأجر من حج به، برقم 2378.

[66] - الترمذي،صفة الجنة عن رسول الله،باب ما جاء في صفة خيل الجنة، برقم 2466،أحمد برقم 21904.

[67] - مسلم، الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم 131.

[68] - الكاشف291/9.

[69] - البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، برقم6849.

[70] - الكاشف عن حقائق السنن 97/8.

[71] - البخاري، الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم 2599، مسلم، الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله،برقم3524.

[72] - فتح الباري 29/6.

[73] - أبو داود ن البيوع،باب في منع الماء، برقم 3476.